

# دوات

DAWAT

مجلة فصلية محكمة تعنى بالبحوث و الدراسات اللغوية و التربوية

المجلد الأول - العدد الثالث - السنة الثانية (ربيع الثاني ١٤٣٦هـ) - (شباط ٢٠١٥م)



## اشترك في هذا العدد

م.د. خولة مهدي الجراح  
د. سامي ناجي سوادي  
د. حسين علي هادي  
م. احمد عبد الله نوح  
ماهر خضير هاشم  
علي عبد الحسين حسن

أ.د. سعدون احمد علي الربيعي  
أ.م.د. حسن عبد الغني الاسدي  
أ.م.د. خليل خلف بشير  
أ.م.د. عادل عباس النصراوي  
أ.م.د. سعاد بنت شعيب اليوسفي  
أ.م.د. رحيم كريم علي الشريفي  
م.د. مرتضى عبد النبي علي

No: الرقم: ب ت ٤ / ٩٦٠٨  
Date: التاريخ: ٢٠١٤/١٠/٢٢  
"معا لمساندة قولتنا المسلحة اليأسلة لبحر الارهاب"  
"معا لمساندة قولتنا المسلحة اليأسلة لبحر الارهاب"

### العتبة الحسينية المقدسة

م / مجلة دواة

### تحية طيبة..

استنادا الى الية اعتماد المجلات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة وبمناخ على توافر شروط  
اعتماد المجلات العلمية لاغراض الترقية العلمية في "مجلة دواة" المختصة بالدراسات والبحوث  
اللغة العربية الصادرة عن عتبتكم المقدسة تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر  
العلمي والترقية العلمية.

...مع التقدير

أ.د. غسان حميد عبد المجيد  
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالة  
٢٠١٤/١٠/

وزارة التعليم العالي  
والبحوث العلمي

نسخة منه الى:

- اسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصنارة



الإمام جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ (ت ٤٨٠هـ) والتأسيس  
للمنهج الافتراضي والتعليلي في النحو العربي

Imam Ja'far bin Mohammed Al-Sadig (٤٨٠ A.H) and  
the Foundation of Presumptive and Justificatory  
Approach in Arabic Grammar

أ.م.د. حَسَنَ عبدالغني الأسدي  
كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء

By: Assist .Prof .Dr .Hassan Abdulghany Al-Assady,  
College of Education for Human Sciences, and University  
of Kerbala



## ملخص البحث

يرصد البحث موضعاً تأسيسياً وريادياً للإمام الصادق (عليه السلام) لم يلتفت إليه الدارسون، وهو وضع الأسس المنهجية للعلوم بقيامها على النظر والتدبر والبحث عن العلل الكامنة خلف الظواهر الملاحظة، فلا يكتفي الإنسان بما يراه ويسمعه بل عليه أن يكشف عن النظام الكامن خلف ذلك، وعلى قدر تعلق الأمر بنا في مجال تخصص الدراسة النحوية لاحظت أن كلام الإمام الصادق (عليه السلام) وتوجيهاته العلمية قد أسهمت إسهاماً فاعلاً في تطور الدرس النحوي عند الخليل وسيبويه، وقد ورد هذا الموضوع فيما أملاه الإمام على صاحبه المفضل بن عمر الجعفي، وقد عرف هذا الإملاء بـ (توحيد المفضل).

وفي هذا الصدد ذكر الإمام أن هؤلاء الذين ينكرون وجود الله وتدبيره للكون، بمنزلة العميان الذين إذا دخلوا داراً قد بنيت أتقن بناء وأحسنه، وفرشت بأحسن الفرش، وأفخره، وأعدّ فيها ضروب الأطعمة والأشربة والملابس لا يستطيعون الحكمة فيه سواء بأجزاء ذلك الدار أم بهيئته الكلية؛ فهم لا يُبصرون بنية الدار؛ بل هم يتعجلون ذم الدار وبانيها؟. والحقيقة أنهم لم يسارعوا إلى ذلك إلا بعد أن عزبت أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء. إن هذا المنحى العلمي عند الإمام الصادق (عليه السلام) الكاشف عن فهم عميق لما يحيط بالإنسان، وعدم الاكتفاء بالظاهر منه، واشتمل على دعوة منهجية يعكسها مستويان للنظر:

المستوى الأول: الرؤية الكلية والطابع الافتراضي المقترن بها باستعماله التشبيه بالذار بوصفه بنية كلية.  
المستوى الثاني: التأسيس البنائي أو بالأحرى الإنشائي الناظر إلى كيفية تكون الأشياء وكيفية امتداد أجزائها وترباطها الخطي أفقياً أو عمودياً. وهو الذي يلمح من استعمال الإمام لفظة الدار التي تشتمل على البناء والأجزاء التي يستند بعضها إلى بعض.

ولقد كان هذان المستويان حاضرين في الجديد الذي أتى به الخليل وسيبويه، اللذان كانا قد قدّما درساً نحوياً مختلفاً عن الدرس النحوي عند معاصريهم من النحويين، فهذا الخليل قد أخذ بقول الإمام الصادق في النظر الكلي والطابع الافتراضي، وإظهار العلل بل اقترحها لمسالك العرب في كلامها وقد عاب سيبويه على النحويين اكتفاءهم بالشكل ومعرفة الاعراب. وبهذا فإن ريادة منهجية يجب أن تسجل للإمام الصادق ومن ثم لتلميذه الخليل، كان لها الأثر الفاعل في التأسيس لمسار جديد في علم النحو، ونظرياته ولا سيما عند سيبويه. وهي تكشف أسس الانتقال إلى المرحلة الجديدة بعوامل من داخل البيئة التي نشأ بها النحو العربي وتطور، مفندة زعم الزاعمين بتأثر خارجية أثرت في تكوين هذا العلم وتحديد مساراته.

## Abstract

The research looks closely at foundational and leading topic which was created by Imam Al-Sadig (pbuh), and which scholars have not dealt with before. He put the methodological bases of sciences founded on consideration, reflection and looking for the reasons underlying the observed phenomena. A human should not be content with only what he sees and hears but he has to reveal the system behind it. As far as the area of grammar is concerned, we have noted that Imam Sadig's (PBUH) words and scientific guidelines contributed effectively to the evolution of the grammar of Al-Khalil and Sibawayh. This topic was referred to when Imam Sadig dictated it to his fellow Al-Mufadel Bin Omar Ja'fi, and was known as Tawhyd Al-Mufadel.

Imam Sadig's methodology was reflected in two levels:

first level: the total observation and the hypothetical feature associated with it when he used simile to refer to the house as a complete structure.

level II: constructional or compositional structure which refers to how things are and how their parts are stretched and their horizontal or vertical interrelationships.

Sibawayh criticized the grammarians because of their contentment in form and declension. Thus, the pioneering methodology must be acknowledged to Imam Sadig and then his student, Al-Khalil who had an impact in the creation of a new course in science of grammar, and its theories, especially with Sibawayh. It is revealed that the foundations of the transition to a new stage was caused by factors within the environment in which the Arabic grammar was created and evolved, and refutes the claim that it was caused by external factors which affected the creation of this science and the direction of its paths

## ❖ المقدمة ❖

لقد أضحي التوجه نحو تعليل الظواهر ولا سيّما الظواهر النحويّة من كبريات المسائل الأصوليّة، والتحليليّة في النحو العربيّ، وقُدّمت داخل إطار هذا التعليل طائفة من النظريّات النحويّة التي تندرج في ضمن علم النحو، وهذا التوجه في دراسة كلام العرب وتناوله عبر هذا المسار من النظر النحويّ أسهم في إثراء الدراسات النحويّة العربيّة على نحو واضح، وكان من جملة هذا الإثراء أن تمّ طرح عدّة نظريات في سبيل فهم متكامل للكلام، بمختلف مستوياته وأنماطه. والملاحظ ((أنّ تعليل الظواهر النحويّة شغل — على ما يبدو — مكاناً فسيحاً من الدراسات التطبيقيّة للمادة النحويّة قبل أن يشغل ذلك المكان من الدراسات التنظيريّة، بمعنى آخر إنّ المتقدمين من أئمة العربيّة قد اهتموا اهتماماً واسعاً بالتعليل، وهو الأساس في التحليل النحويّ وشاركهم في ذلك المتأخرون؛ ولا سيّما عند من ألف في الأصول النحويّة على ما بين الفريقين من اختلاف منهجيّ في تناول الموضوع)) (١). وكان التعليل في كتاب سيبويه معلماً بارزاً من معالم درس سيبويه النحويّ على نحو طبع منهجه بطابعه الجديد وهو طابع استأذه الخليل باختياره منهج التعليل والتفسير، فقد كان لفظ (التفسير) من الألفاظ التي مال سيبويه إلى استعمالها، ولا سيما عند تناوله الجمل المحوّل للكشف عن بنيّتها الأساسيّة أو توجيه بعض التركيبات وجهة مقبولة تسعف به آلية من آليات فهم الجملة الذي اختار له مصطلحاً لم يلتفت إليه أحد من السابقين أو المحدثين وهذا مصطلح هو الخلف (سأتي على ذكره لاحقاً) وقد وظفه سيبويه لإظهار بيّنة الجملة أو مقامها الافتراضيّ.



## المبحث الأول

إرهاصات التفكير الافتراضي والتعليلي في النحو العربي

لعل أول ما يتوجّه الباحثون إليه في هذا الشأن هو تناول أول من علّل الاستعمال العربي لما يشتمل عليه الكلام من مظاهر؛ وفي العادة نراهم يوردون ههنا ما ذكره ابن سلام (٢٣١هـ) عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي المتوفى (١١٧هـ) من أنّه ((كان أول من بعج النحو، ومد القياس والعلل)) (٢). وكان القول بالعلل يمثل منهجية قارة في النحو العربي. ويمكننا - على هذا - القول بأنّ التعليل يمكن أن يكون سابقاً لابن أبي إسحاق بمدة، لقول ابن سلام أنّه مدّ القياس والعلل ما يعني أنّه استزادهما، ولما كان الحال أنّ نحو الحضرمي لم يصل إلينا، فلا نستطيع أن ننتبين حقيقة هذا السبق؛ كما أنّ ما أورده سيبويه عنه لا يساعدنا في بناء هذه الصورة، فعلى قلة تلك الإشارات فقسم منها قراءات للحضرمي وليست من نحوه، والقسم الآخر هو ممّا رواه الحضرمي عن بعض العرب واختيارهم فيه حالة إعرابية ما. ويضاف على ذلك أنّ هذا الوصف صدر من ابن سلام وهو امرؤ غير نحوي وروايته متأخرة فهي في القرن الثالث الهجري ما يدعونا إلى تأكيد ما ذهب إليه بعض المحدثين بقوله: ((الأمر الذي جعل أحقّ بهذا القول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) فيمكن أن نعدّه أول من بسط القول في العلل النحوية)) (٣). وقد عرف عند المتقدمين أنّه: ((هو الذي بسط النحو ومدّ أطنايه، وسبّب علله، وفق معانيه، وأوضح

الحجاج فيه، حتّى بلغ أقصى حدوده وانتهى إلى أبعد غاياته...)) (٤).

ولهذا القول مصاديق عدّة؛ منها ما جاء في ولادة كتاب تلميذه سيبويه (ت ١٨٠هـ) فقد نصّت بعض الروايات على رغبة سيبويه بإحياء علم أستاذه، ودعا من دعا لبشركه في هذا العمل، ولكن على ما يبدو لم يجد من يلبي دعوته هذه؟! فتصدّى لهذه المهمة وحده، فخلّد بذلك علم أستاذه وخلّد علمه وبراعته في إظهار صورة جديدة للدرس النحوي بل للدرس اللساني العربي عامّة. إنّ النحو الذي نسج أبواب ومسارات تحليله الخليل وسيبويه كان فيما نزعم مختلفاً جداً عن بقية ما قدّمه نحويو ذلك العصر، وكذا اختلف عنهما من جاء بعدهما من نحويي العربية، الذين يدعون بصورة أو بأخرى سيرهم على خطواتهما.

إنّ التحوّل الذي ظهر عند الخليل وسيبويه في كيفية فهمهم النحو العربي؛ يمثل خطوة هي غاية في الأهمية، أملت أن يكون التحليل النحوي المعتمد في الكتاب مختلفاً في آلياته ووسائله عمّا ألفه المعاصرون. وكان سيبويه قد عاب على النحويين اكتفاءهم بما هو من ظاهر الكلام (أي: الإعراب) وعدم عنايتهم بتأمّل وجوه الصواب والخطأ في الكلام. وتدلّ على ذلك نصوص من الكتاب نذكر منها قوله: ((وإنما ذكر الخليل - رحمه الله - هذا لتعرف ما يُحال منه وما يحسن؛ فإنّ النحويين ممّا يتهاونون بالخلف إذا عرفوا الإعراب. وذلك أنّ رجلاً من إخوانك ومعرفتك لو أراد أن يُخبرك عن نفسه أو عن غيره بأمرٍ فقال: انا عبدالله منطلقاً، وهو زيدٌ منطلقاً، كان محالاً؛ لأنّه إنّما

لتحليلها عدة مسارات لتلتقي عند نقطة تتجمع عندها نتائج تلك المسارات لتبني للجملة، وللکلام صورة كلية متداخلة من الصور الجزئية؛ ومن ثم لا يخفى مدى التطور الذي أحدثه فكر هذين الرجلين في الحضارة العربية ونضجها في هذا الجانب من الدراسة تحديداً وفي غيره تأثراً به.

ويبدو لي أن علم النحو قبل هذه المرحلة التي يمثلها كتاب سيبويه كان علم إعراب يهتم بما يقيم العلامات من المرفوعات والمنصوبات والمجرورات، متأثراً على ما يبدو بسيرة قديمة لم يستطع تطويرها إلا قليلاً؛ ولعله أخذها عن إرهصات المرحلة الأولى المتمثلة بعمل أبي الأسود الدؤلي عند تنقيطه المصحف الشريف بنقط الإعراب. ثم جاء عصر الخليل الذي كان له فضل تطويرها إلى رموز إعرابية، عرفت بالحركات ليتسنى للناظر في الكلام أن يلمح هذه الآلية الإعرابية بسرعة، وألا تختلط عليه النقاط ولا سيما مع نقط عاصم (أي: نقط الإعجام).

إن مدعى تأثر الخليل الفكري بالإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، فضلاً على ما جرى بيانه من نزعة الطرفين نحو فكرة البناء الكلي الافتراضي، والكشف عن العلل والأسباب الكامنة وراء الظواهر الملاحظة يستند إلى ما جاء في مدونة الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) التي وُسمت بالإيضاح في علل النحو على حين وسمها صاحبها بـ (الإيضاح في أسرار النحو) فقد دون فيها عن بعض شيوخه جواب الخليل عن سؤال سئل الخليل، ولعله لم يكن سؤالاً فحسب بل ربما كان استغراباً أو استنكاراً لطرائقه في

التعليل لكلام العرب؛ يعبر عن حيرة من حوله كيف تأتى له أن يقول في كلام العرب ما كان يقول من العلل؛ قال الزجاجي: ((ذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد- رحمه الله- سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو، فقل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيّتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم يُنقل ذلك عنها، واعتلت أنا بما عندي أنه علة لما علّته منه، فإن أصبت العلة فهو الذي التمس، وإن تكن هناك علة له، فمئلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء؛ عجيبة النظم والأقسام؛ وقد صحت عنده حكمة باتيها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللانحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها، قال: إنما فعل هذا هكذا لعله كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا. سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك. فجاز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلّة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجاز أن يكون فعله لغير تلك العلة؛ إلا أن ذلك ممّا ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإنه منح لغيري علة لما علّته من النحو هو أليق ممّا ذكرته بالمعلول فليأت بها (( (٣١).

فالخليل كما هو واضح استعمل التشبيه نفسه الذي استعمله الإمام الصادق (عليه السلام) الأنف الذكر مطبقاً إياه على الجانب اللغوي، وكما يتضح فهذا الجواب أورد في سياق بيان فعل كليّ أشم به جهد الخليل في المجال النحوي. وعلى ما يبدو فإن نصوص سيبويه المتعلقة بمواخذته النحويين والعيب عليهم



كل معاني الكلام المضمرة، ويحاول الوصول إلى تفسيراتها الممكنة)) (١١). وهذا المنهج الافتراضي ينسجم مع التوجه العام للتعليل اللغوي، بل هو مسار من مساراته.

وكما يرى بعض المعاصرين أن سيبويه لم يكن ((وهو يضع البناء النظري والقوانين الكلية للغة العربية معزولاً عن انجازات الفقهاء والقراء والمحدثين والمتكلمين...)) (١٢)، وقد ذهب بعض الدارسين إلى تأثر النحاة بالفقهاء، ولا سيما بابي حنيفة وتلامذته ممن أعملوا القياس في مسائلهم الفقهية فقال: ((الافتراض أسلوب فقهى معروف كان عليه أبو حنيفة وشيوخه خاصة من رجال الدين وقد أفاد منه النحاة منذ زمن مبكر، إذ رأينا منه في نحو الحضرمي، وأبي عمرو وعيسى ويونس، غير أن الخليل أكثر منه)) (١٣). ويبدو أن الحماس تجاه مدرسة الرأي الفقهية بزعامة أبي حنيفة، حال دون أن ينظر هذا الباحث في صغر عمر أبي حنيفة (٨٠هـ - ١٥٠هـ) قياساً إلى النشاط العلمي لدى كل من عبدالله بن اسحاق الحضرمي (١١٧هـ)، أو معاصريه لأبي عمرو بن العلاء (٧٠-١٥٤هـ) وشهرة الأخير العلمية في اللغة وعلم العربية والقراءات قياساً بابي حنيفة، ولا سيما أن شهرة مذهبه أتت عبر تلامذته (أبي يوسف قاضي القضاة عند هارون الرشيد وتلميذه محمد بن الحسن الشيباني) على أن القول بالتأثير مما يحمل على الظن ويفتقر إلى الأدلة.

ثم إن ما جاء به أبو حنيفة في هذا المجال هو القياس بوصفه آلية لنقل الحكم من هذه المسألة الفقهية إلى

مسألة أخرى، وهو أمر لم يكن محموداً لدى بقية الفقهاء ولا سيما أساتذته الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) الذي نهى عن ذلك وأسقط حجته لكون قياسه لا يطرد، وأنه ليس من وسائل معرفة الشريعة، فأمرها ينبغي أن يؤخذ نقلاً من القرآن أو السنة النبوية.

على أن رفض القياس، ولا سيما عند غياب ركن من أركان القياس - أعني العلة الحقيقية التي تجوز معها عملية القياس - لا يشمل الافتراض، وعلى نحو خاص ما تسميه بالافتراض التشبيهي الذي يتخذ وسيلة لتنظيم عملية التفكير عبر مسارات تشبيهية لبناء الصورة الذهنية التي يدركها العقل لنسق العلاقات وترتيبها مما سيوضح قريباً.

وقد رجح لدينا أن التوجه المنهجي في كتاب سيبويه نحو التفسير والتعليل كان حاضراً في عموم الكتاب، وهو وسيلة منهجية رئيسية في تحليله لكلام العرب. ويدعونا إلى هذا الترجيح لما رأيناه يستعمل لفظة فسر ومشتقاتها كثيراً لوصف ما يقوم به من تحليل طائفة من التراكيب اشتملت على مظاهر مغايرة للنمط التراتبي للجملة العربية مما يكون من عوارض تركيبية، أثرت العرب استعمالها للتعبير عن معانيها، يضاف على ذلك ما هو أكثر أهمية من السبب المتقدم، ذلك أن سيبويه أظهر وعيه لمنهجية في تناول كلام العرب ((إذ بين في عبارة لطيفة مختصرة وظيفة النحويين عامة ووظيفته خاصة عند نظره لكلام العرب، وذلك في عقب طائفة من التركيبات التي اختزل الفعل منها، فنبه بقوله: ((واعلم أنه ليس

كل حرف يظهر بعده الفعل يحذف فيه الفعل، ولكنك تُضمَر بعدما أضمرت فيه العرب من الحروف والمواضع، وتظهر ما أظهروا. وتُجرى هذه الأشياء التي هي على ما يستخفون بمنزلة ما يحذفون من نفس الكلام ومما هو في الكلام على ما أجروا ( إلى أن يقول) فقف على هذه الأشياء حيث وقفوا ثم (فسر) ((١٤) .

على أن فضيلة هذا المنهج تمثلت في أن سيبويه وأستاذه الخليل وظفا آليات تحليلية للدراسة النحوية أكسبتهما تميزا واضحا على طول خط الزمن التاريخي للنحو العربي وصولا إلى العصر الحديث. وتحليلنا لما اشتمل عليه الكتاب قرّر أمورا كثيرة أظهرت مديات التفاعل مع المحيط الخارجي الذي كان أحاط بسيبويه ومن قبله أستاذه الخليل! . ولعلنا هنا سنركز على جانب من التأثير اتّخذ طابعا علميا صرفا، ولا سيما في طبيعة المنهج النحوي الذي تبنّاه الخليل وأخذه عنه تلميذه سيبويه فظهر في الكتاب بما أطلقنا عليه المنهج التفسيري التعليلي، الذي انطلق من بينته بتمثيل مكوناتها، وإعادة صياغة تلك المكونات في ظل نزعة لغوية.

والمنهج التفسيري التعليلي: هو المنهج الذي ينظر إلى الجمل المتحققة محاولاً أن يظهر كيفية نشونها وامتدادها وارتباط مكوناتها، وبيان أوجه الحالات الإعرابية لوظائفها وتحولاتها بين التقديم والتأخير والحذف والزيادة...، وشمل هذا التفسير عند الخليل وسيبويه البحث عن أصل الجمل ومكوناتها الوظيفية والكشف عن البنية التركيبية والبنية الدلالية

للمنطوق(١٥). وعلى هذا فالتعليل بلغ أوجهه لا سيما عند سبقه بالتفسيري، الذي يقوم بتحديد جهة التعليل على نحو يظهر طبيعة التكوينات والصور التي تتخذها وصولا إلى النمط المنطوق. لا أن يكون التعليل محصورا في نطاق الإجابة عن لماذا!!!.

ومما يمكن أن نلاحظه هنا من أمثلة الكتاب قول سيبويه: ((فكأنه إذا قال الرجل للرجل: يا فلان فقال لبيك وسعديك، فقد قال له قُرباً منك ومتابعة لك، فهذا تمثيل وإن كان لا يُستعمل في الكلام كما كان براءة الله تمثيلاً لسبحان الله، ولم يُستعمل، وكذلك إذا قال لبيك وسعديك يعني بذلك الله عز وجل فكأنه قال أي رب لا أتأى عنك في شيء تأمرني به، فإذا فعل ذلك فقد تقرب إلى الله بهواه وأما قوله وسعديك فكأنه يقول أنا متابع أمرك وأولياءك غير مُخالف، فإذا فعل ذلك فقد تابع وطوع وأطاع؛ وإنما حملنا على تفسير لبيك وسعديك لتوضح به وجه نصبيهما لأنهما ليسا بمنزلة سقياً وحمداً وما أشبه هذا ، ألا ترى أنك تقول للسائل عن تفسير سقياً وحمداً إنما هو سقاك الله سقياً وأحمد الله حمداً وتقول حمداً بدل من أحمد الله وسقياً بدل من سقاك الله ، ولا تقدر أن تقول أليك لباً وأسعدك سعداً ولا تقول سعداً بدل من أسعد ولا لباً بدل من ألب ؛ فلما لم يكن ذاك فيه التمس له شيء من غير لفظه معناه كبراءة الله حين ذكرناها لنبيين معنى سُبْحان الله ، فالتمسْتُ ذلك للبيك وسعديك واللفظ الذي اشتقنا منه إذ لم يكونا فيه بمنزلة الحمد والسقي في فعلهما ولا يتصرفان تصرفهما)) (١٦).

فهذا النص مشبع بفكرة افتراضية البنية التركيبية

اعتماداً على البنية الظاهرة، ويرد التفسير ليكون البديل اصطلاحياً للربط بين البعدين في مجال فهم الكلام، مع بروز مصطلح (التمثيل) بمثابة النظر الإجرائي لمصطلح الافتراض. وهو أيضاً من المصطلحات التي برزت عند سيبويه وجرى توظيفه بوصفه آلية منهجية متعلقة بمجال الافتراض، وتفسير البنى الظاهرة على وفق بنى عميقة، أو أصول كلية ترتد إليها الاستعمالات الظاهرة. وأمثال هذا التحليل كثيرة عند سيبويه سواء ما ذكره عن أستاذة الخليل أم كان من رآيه. ويبرز في النص أيضاً افتراضية البنية الدلالية للمنطوق بقوله: (فكأنه يقول أنا متابع أمرك وأولياءك غير مخاليف).

لكنّ التعليل النحوي بما فيه من افتراض اتخذ بُعداً آخر فيما بعد على نحو أصبح محاولة للكشف عن حكمة العرب في كلامها باتساق ألفاظها على وفق نظام محدّد ومسالكتها في هذا الكلام، وهو ما برز عند ابن جني (ت ٣٩٢هـ) ببيان علل سائر الكلام، وأنّ التعدّد لا ينفي الإطار الجامع المعبر عن اتساق أجزاء الشيء لرسم صورته الكلية في ظل البناء الكلي للغة. وعلى العموم فقد بقي هذا المنحى الافتراضي حاضراً عبر مسار التعليل والقياس في الدراسات النحوية العربية، ولكنه اتخذ جانبا متفعراً في ظل الباعث المنطقي عند طائفة من النحويين الخالفين ابتعدوا به عن الحسن اللغوي الذي ظهر في كتاب سيبويه، ثمّ آل النظر النحوي إلى تعليم النحو (أي: معرفة القواعد) لا فهم طرائق العرب في كلامها ومسالكتها في نظم معانيها، واستمر الحال إلى العصر الحديث،

فتحوّل الاهتمام نحو مقاربة ما جاء من النحو العربي بالتّوسل بالآليات منهجية جديدة أفرزتها التّيارات اللغوية التي برزت في أوروبا وأمريكا.

ونعتقد أنّنا في هذا البحث بصدد التّأصيل لهذا المنحى اللغوي الذي أقيم عليه نحو الكتاب ونظنّ أنّ بدايته كانت بفعل مؤثرات نابعة من البيئة العربية التي نشأ بها هذا النحو، المتمثلة بالمراكز العلمية في البصرة والكوفة وهي مراكز استندت في امتدادها وثرانها العلمي إلى أعمال الخليل وسيبويه الجليّة. وكان لها الأثر الفاعل في البناء المنهجي والعلمي والاجتماعي للمدرستين ومن ثمّ لبقية المدارس، إلا أنّنا نعتقد أنّ أصل ذلك كان بفعل التّوجهات العلميّة التي أرسى دعائمها الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) في إطار سعيه الحثيث نحو التّأسيس للعلوم المختلفة على وفق رؤية علميّة، أسهمت في إبراز علوم شتى وعلماء متخصصين، ولم يقتصر الأمر على الجانب القرآني أو الفقهي بل تعدّى ذلك إلى عقد الحلقات العلميّة حتّى تجاوز عدد من استمدّ علمه من هذا الإمام أربعة آلاف طالب، جماعة منهم من زعماء المذاهب الإسلاميّة كأبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، وغيرهما وآخرين ممّن كانوا من المبرزين في علوم الكلام والعقائد والسنن وعلوم القرآن والتفسير. ولم يقتصر الأمر على تدريس العلوم الدينية بل هناك الفلسفة والعرفان إلى جانب علوم الفيزياء والكيمياء والطب والصيدلة، وقد تولى الإمام بنفسه تدريس هذه العلوم (١٧). والكلام عن إنجازات الإمام في مجال تدريس العلوم وتأسيس مسارات بعضها أو إحكامها

واسع، وعقدت عليه الدراسات والأبحاث المطولة والمختصرة، مما لا تسعنا مساحة هذا البحث لتناوله. ونحن هنا سنرصد موضعاً تأسيسياً وريادياً آخر للإمام الصادق (عليه السلام) لم يلتفت إليه الدارسون، وهو وضع الأسس المنهجية للعلوم بقيامها على النظر والتدبر والبحث عن العلل الكامنة خلف الظواهر الملاحظة، فلا يكتفي الإنسان بما يراه ويسمعه بل عليه أن يكشف عن النظام الكامن خلف ذلك، وعلى قدر تعلق الأمر بنا في مجال تخصص الدراسة النحوية لاحظت أن كلام الإمام الصادق (عليه السلام) وتوجيهاته العلمية قد أسهمت إسهاماً فاعلاً في تطور الدرس النحوي عند الخليل وسيبويه، وقد ورد هذا الموضع فيما أملاه الإمام على صاحبه المفضل بن عمر الجعفي (١٨)، وقد عرف هذا الإملاء بـ (توحيد المفضل). وهناك من النصوص الداعمة لما ورد في هذا الكتاب مما نقل من أحاديثه عليه السلام، ولكنني اكتفيت في هذا البحث بما ورد في هذا الكتاب.

وأنوه إلى أن عملاً بحثياً سابقاً كان مركزه بعض مواد هذا الكتاب، إذ تظهر طائفة من نصوص كتاب (توحيد المفضل) أن الإمام الصادق (عليه السلام) وضع فيه اللبانات الأولى لعلم الأصوات عند العرب، بمساراته الثلاث كما هي عند المحدثين وهي: إنتاج الأصوات، والوسط الناقل للأصوات، وجهاز السمع، مع ما اشتمل الكلام من تحديد مخرجي لطائفة من الأصوات تظهر اتفاق الخليل معه فيها. كما أن الإمام الصادق عليه السلام كان قد شبه جهاز النطق بالمزمار الأعظم، وهو تمثيل له أثره في فهم آلية

النطق، وريادته في ذلك مما له الأثر في الدراسات اللاحقة، ولا سيما عند ابن جني الذي أورد هذا التشبيه في صدر كتابه سر صناعة الإعراب (١٩). وكذا (( رصد البحث ريادة الإمام الصادق (عليه السلام) في مصطلحات صوتية؛ تعد الآن من أهم المصطلحات الصوتية منها: الصوت ومخرج الصوت، والحرف، والآلة، والتهينة، وأعضاء النطق التي ذكرها في حديثه عن إنتاج الأصوات، مع مجريات متعددة دخلت في الدرس الصوتي منها: كيفية إنتاج الأصوات وتشبيهه أعضاء النطق بالمزمار. والرنة بالزرق مصدر هواء الزفير. ووظيفة الحنجرة التي يخرج منها صوت صغيري كانبوبة المزمار)) (٢٠).

ولم يقف تأثير الإمام في هذا الجانب عند اللغويين بل تجاوزهم إلى الفلاسفة الأطباء ممن اعتنى بالنظر إلى خلقه الإنسان أو أصواته فهناك من الدلائل الواضحة على تأثرهم بأقواله الأمر الذي يثبت ريادة الإمام زمنياً وعلمياً في هذا الجانب حتى لنعدّه عليه السلام المؤسس لعلم الأصوات عند العرب.

#### المبحث الثاني

فكرة البناء الكلي والمنهج التعليلي عند الإمام الصادق (عليه السلام)

كانت القضية التي ابتدأ بها كتاب التوحيد القول في حكمة الخالق في خلقه، والعلل الكامنة وراء مظاهر الخلق وتفصيلات تلك الخلقة، وأن إدراك هذه الحكمة تنشأ من تأمل تلك المظاهر، والبرهان على مكنن الابداع الإلهي فيها. ولهذا الإملاء قصة أوردها المفضل بن عمر في صدر روايته ما أملاه



عليه استأذنه الصادق عليه السلام فقد ذكر أنه وهو بقرب قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) سمع من ابن أبي العوجاء وبعض أصحابه وهما من الملاحدة كلاماً عن الله ساء سماعه، فلم يملك زمام نفسه حتى نهرهما متعجلاً الرد عليهما فقال له ابن أبي العوجاء: ((يا هذا إن كنت من أهل الكلام كَلَمَّاكَ، فإن ثبتت لك حجة تبعناك، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك؛ وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا تخاطبنا، ولا بمثل ذلك تجادل فينا؛ ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت فما أقحش في خطابنا ولا تعدى في جوابنا، وإنه الحليم الرزين العاقل الرصين لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق، يسمع كلامنا ويصغي إلينا، ويتعرف حجتنا حتى إذا استفرغنا ما عندنا، وظننا أننا قطعناه دحض حجتنا بكلام يسير، وخطاب قصير يلزمنا به الحجة ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه رداً فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه)) (٢١).

فأسقط في يد المفضل ولم تكن له القدرة على مجاراتهما فلجأ إلى إمامه جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، فأجابه الإمام (عليه السلام): ((يا مفضل لألقين عليك من حكمة الباري جلّ وعلا وتقدس اسمه في خلق العالم والسباع والبهائم والطير والهوام وكل ذي روح من الأنعام والنبات والشجرة المثمرة وغير ذات الثمر والحبوب والبقول المأكول من ذلك وغير المأكول ما يعتبر به المعتبرون، ويسكن إلى معرفته المؤمنون، ويتحير فيه الملحدون؛ فبكر علي غداً)) (٢٢). فما كان من الإمام في اليوم التالي إلا أن بدأ

معه ببيان خلق الموجودات، وعلل ما عليه من هيئات أعضائها وتكوين أجسامها مما فيه الدلالة على الله تعالى وحكمته في الخلق؛ وكان المفضل قد طلب من الإمام أن يكتب ذلك فإن له الإمام، ومن ههنا عرف هذا الإملاء بتوحيد المفضل.

لقد ركز الإمام الصادق (عليه السلام) فيما ألقاه على المفضل أن يأتي في صدار كلامه على مقدمة تكون مدخلا لبيان موضوع الكتاب وهدفه، وما ينبغي للمخلوقين من التنبه عليه ومعرفة حكمة الله تعالى فيه حائثاً على تدبر الأشياء، وتأمل دواخلها والأسباب التي تكشف تلك الحكمة، وقدرته في خلقه الذالة على وحدانيته وحيرة من الحد فيه، وسلوكه طريق الجهل والتعامي، ابتداء الإمام كلامه مع المفضل بقوله:

((إن الشكاك جهلوا الأسباب والمعاني في الخلقة وقصرت أفهامهم عن تأمل الصواب والحكمة فيما ذرأ الباري جلّ قنسه وبرأ من صنوف خلقه في البر والبحر، والسهل والوعر، فخرجوا بقصر علومهم إلى الجحود وبضعف بصائرهم إلى التكذيب والعنود)) (٢٣). فنحى بهم ذلك إلى إنكار حكمة الخالق وإنكاره، قال الإمام: ((...حتى أنكروا خلق الأشياء، وأدعوا أن تكونها بالإهمال لا صنعة فيها، ولا تقدير ولا حكمة من مدبر، ولا صانع؛ تعالى الله عما يصفون و... قَاتِلُهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤَفَّكُونَ)) (التوبة ٣٠، المنافقون ٤)...)) (٢٤)

وهنا يأتي وصف الإمام لهم الوصف المهم الذي يؤسس دعوته المنهجية بل تصوّره البنائي للكون ولسائر العلوم؛ قال الإمام في عقب الكلام السابق

فقال:

(( فهم في ضلالهم وغيهم وتجبرهم بمنزلة عميان دخلوا داراً قد بُنيت أُنقَ بِناءٍ وأحسبه وفرشت بأحسن الفرش وأفره وأعدّ فيها ضروب الأطعمة والأشربة والملابس والمأرب التي يحتاج إليها، ولا يستغنى عنها، ووضع كل شيء من ذلك موضعه على صواب من التدبير وحكمة من التدبير، فجعلوا يترددون فيها يمينا وشمالا، ويطوفون بيوتها إديارا وإقبالا محجوبة أبصارهم عنها.

لا يُبصرون بنية الدار وما أعدّ فيها، ورُبما عثر بعضهم بالشيء الذي قد وُضع موضعه، وأعدّ للحاجة إليه، وهو جاهل للمعنى فيه، ولما أعدّ، ولماذا جُعل كذلك؛ فتذمر وتسخط وذم الدار وبانيها، فهذه حال هذا الصنف في إنكارهم ما أنكروا من أمر الخلق، وثبات الصنعة. فإنهم لما عزيت أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء، صاروا يجولون في هذا العالم حيارى فلا يفهمونما هو عليه من إتقان خلقته وحسن صنعته وصواب هيئته وربما وقف بعضهم على الشيء بجهل سببه والإربقيه فيسرع إلى ذمه ووصفه بالإحالة والخطأ كالذي أقدمت عليه المنانبة الكفرة، وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة، وأشباههم من أهل الضلال المعلنين أنفسهم بالمحال، فيحقّ على من أنعم الله عليه بمعرفته وهده لدينه، ووفقه لتأمل التدبير في صنعة الخلاق والوقوف على ما خلقوا له من لطيف التدبير، وصواب التدبير بالذلالة القائمة الذالة على صانعها أنيكثر حمد الله مولاه على ذلك، ويرغب إليه في الثبات عليه والزيادة منه فإنه جلّ

اسمه)، يقول: (( لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد (إبراهيم ٧) .. )) (٢٥).

فالإمام ههنا يعيد تشكيل الرؤية الكونية من الاتساع الذي يفوق إحاطة البشر، أو الاتساع الذي لا يدري الناظر إليه من أي جهة يقبل عليه، إلى رؤية منهجية ترتكز على فكرة النظام أو النسق فالكون الهائل الاتساع بمنزلة الدار المنتظم الأركان، والتشبيه بالدار الذي يقدمه الإمام هو تشبيه النسق، وهو حياة يدركها العقل ويتصورها الذهن فذلك النسق بوصفه فكراً كلياً تجريدياً، قادر على حصر الأشياء المتسعة، والنظر إليه على وفق قانون التراتبية، أي قانون العلل المؤدية، فإن الجهل هو ممكن الذم لهذه التكوينات، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (( فإنهم لما عزبت أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء، صاروا يجولون في هذا العالم حيارى... فلا يفهمونما هو عليه من إتقان خلقته )) يأتي الإمام بهياة الدار (( دخلوا داراً قد بُنيت أُنقَ بِناءٍ وأحسبه... ووضع كل شيء من ذلك موضعه )).

وهو تشبيه يُلَمَح فيه تقرير مستويين من النظر: المستوى الأول: الرؤية الكلية والطابع الافتراضي المقترن بها.

المستوى الثاني: التأسيس البنائي أو بالأحرى الإنشائي الناظر إلى كيفية تكوّن الأشياء وكيفية امتداد أجزائها وترابطها الخطي أفقياً أو عمودياً. وهو الذي يُلَمَح من استعمال الإمام لفظة الدار الواردة في النص كناية عن هذا العالم وانتظام أجزائه وتناسقها.

وإذا كان المستوى الأول يتخذ من الذهن موضعاً

لشغله وتحركه فإن المستوى الثاني تتجلى به مفردات الواقع. فالذهن يوفر فرصة الافتراض الذي لا يكتسب شرعية وجوده إلا في ظل نماذج حسية. وعلى الرغم من أن كلام الإمام (عليه السلام) ورد في سياق إثبات الخالق وحكمته في تدبير أحوال هذا الكون ودقائق مخلوقاته، إلا أنه يُمثل في نظرنا صياغة لمنهجية عامة في كسب العلم والبرهنة على الحكمة، والانتظام فيما خلق الله تعالى. ومن العلوم التي نطّل أنها أسست في ظل استلهاهم هذه المنهجية علم العربية الذي يمثله علم الخليل وعلم تلميذه النجيب سيبويه، وندعي أن كلا مستويي النظر الافتراضي والإجرائي (بنظريته الإنشائية) قد ظهرا بوضوح عند هذين العُلمين، ويظهر أنها منهجية جديدة للنظر النحوي خطها الخليل، وأقيم كتاب سيبويه عليها. وكان الخليل قد رسم أولى مساراتها التحليلية، على نحو تمكّن من أن يكون درسه اللساني درساً مميزاً في فهم كيفية تكوين الكلام بأنماقه المتعددة ووظائف مفرداته، وما يعترئها من تغاير عن أصولها، بل في كيفية القول بوجود تلك الأصول. وقد ظهر من ذلك عندهما ما استدعى بروز مواقف كثيرة تبين أن هناك نحواً يختلف عن النحو الذي كان سائداً. وقد تقدّم من ذلك ما سبق ذكره من أنه عاب على النحويين اكتفاءهم بالإعراب، وعدم اهتمامهم بمعرفة جهات صحة الكلام وخطئه ولا جهات الإحالة في الكلام والقيح والاستقامة مع ذكر علل ذلك، ووجوه القول فيها، وهو أمر كان مثار تميّز الخليل وسيبويه.

لقد اشتمل قول الإمام الصادق (عليه السلام) المتقدم

على طائفة مهمة من الألفاظ البنائية لها أثرها في وضوح المقصد ودقة المطلب وهي الفاظ: ( بنيت، وبنية الدار وبنائها، وتكونها، والمبني، والبيت ). ولعل في استعمال الإمام عليه السلام للمركب الإضافي (بنية الدار) ما يقترب بوضوح من الفكرة النسقية وافترضية كلية لبنية الدار. وهي تؤسس النظر إلى الأشياء على وفق الصورة الذهنية التي مكنها الفكر لا الاستغراق في الجزئيات وافترارها الى الرابط المؤدي إلى تفتت الرؤية، ومن ثم غياب الثمرة الكبرى من التدبّر.

ويواصل الإمام في مقدمته لتقرير هذا الإطار من مستويي التفكير منتقلاً من جزئياته إلى العالم الذي يضمها فيقول منبهاً المُفضّل:

((يا مُفضّل، أوّل العبر والدلالة على الباري جلّ قدسه تهينة هذا العالم وتآليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه؛ فإنّك إذا تأملت العالم بفكرك وخبرته بعقلك وجدته كالبيت المبنيّ المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده...)) (٢٦).

والإمام هنا يعودته الى طرح الفكرة من جديد، يتوجه إلى متدبّر هذا العالم فبعد أن ذكرها أولاً من جهة من لا يتدبّر أي الضلال (جمع ضال)، يتوجّه الإمام إلى بعض تفصيلات هذا البناء، وهو تهينة العالم الدالة على الاتساق الكلّي، وتآلف أجزاء هذا العالم وترباطها بعضها ببعض، لتكوين صورة هذا العالم أو هذا الدار عبر المسارين السابقين. فالمسار التجريدي يلمح من الترابط الخفي أو المقدّر بين الأجزاء، والمسار الثاني الظاهر يلمح من نظم

الأجزاء المكوّنة للبناء الظاهر. فالمستوى التجريدي يظهر في ما ذكره الإمام في اختياره بديلاً تشبيهاً عن العالم الملاحظ فهو بمنزلة البيت المنتظمة أجزاؤه، فيقول في عقب النص السابق: ((... فالسما مرفوعة كالسقف والأرض ممدودة كالسطح والنجوم مضيئة كالمصابيح والجواهر مخزونة كالدخائر. وكل شيء فيها لشأنه معد، والإنسان كالملك ذلك البيت والمخول جميع ما فيه وضروب النبات مهياة لمأربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه. ففي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملانمة، وأن الخالق له واحد، وهو الذي ألفه ونظمه بعضاً إلى بعض جلّ قدسه وتعالى جدّه وكرم وجهه، ولا إله غيره، تعالى عما يقول الجاحدون، وجلّ وعظم عما ينتحله الملحدون)). (٢٧)

فالإمام في هذا النصّ نحى إلى تفصيل وجه المشابهة بين البيت، وهذا العالم ليضع المتدبر على طريق البحث عن الحكمة في هذا الجزء وذلك؛ فكما أن للبيت سقفا فقد جعل الله تعالى السماء سقفا للأرض، وكذا في النجوم والأرض المبسوطة فهي بسط البيت ومصابيحها... كل ذلك فيما يمكن أن يكون رغبة من الإمام في بيان تفصيل ما أجمل ووضح ما يؤمل؛ وإننا على عظم هذا العالم واتساعه، إلا أن في الإمكان فهمه كما نفهم تفاصيل تلك الدار الصغيرة الذي ألفنا رؤيتها كلّاً وأجزاءً، ونفهم الحكمة في تكوينها.

وتتضح معالم أخرى للتشبيه بالدار (الذي تحوّل إلى رمز للكلية البنائية المنتظمة النسق)، فبدن

الإنسان وما حواه من قوى بمنزلة الدار، وما فيها من قوام يقومون بشأنها، قال (عليه السلام): ((... وسأمثل لك في ذلك مثلاً: إن البدن بمنزلة دار الملك له فيها حشم، وصبيته وقوامه موكلون بالدار، فواحد لقضاء حوائج الحشم، وإيرادها عليهم، وآخر لقبض ما يرد وخزنه إلى أن يعالج ويهيأ، وآخر لعلاج ذلك وتهينته، وتفريقه، وآخر لتنظيف ما في الدار من الأقدار، وإخراجه منها، فالملك في هذا هو الخلاق الحكيم ملك العالمين، والدار هي البدن والحشم هم الأعضاء والقوام هم هذه القوى الأربع)). (٢٨) والعبارة ههنا أن الإمام يؤكد على المتلقي أن يتدبر فيما يراه، ويحاول أن يفهم أن فيما أمامه من الظواهر تشتمل على نظام نسق على وفق بنية محددة ومنتظمة، وأن القول بلا تدبير أو انتظام يخالف نتيجة أدنى تدبر.

ويلج الإمام على هذا التشبيه بذكره في موقع آخر بقوله: ((أرايت لو أن داخلاً دخل داراً، فنظر إلى خزائن مملوءة من كلّ ما يحتاج إليه الناس، ورأى كلّما فيها مجموعاً معداً لأسباب معروفة أكان يتوهم أن مثل هذا يكون بالإهمال، ومن غير عمد فكيف يستجير قائل أن يقول هذا من صنع الطبيعة في العالم، وما أعجّب فيه من هذه الأشياء)). (٢٩).

فهذا القول يصب في الإطار المنهجي نفسه للنصّ الأول الوارد في مقدّمة إملانه على تلميذه المفضلّ، إلا أنّ الإمام (عليه السلام) انتقل بفكرة النسق من الكل الضام للأجزاء إلى الأنساق الجزئية التي تندرج في نسق عام، بمعنى أننا أمام أكثر من مستوى للنظر البنائي فالدار ههنا ضمت في داخلها ما يدلّ على



انتظام الأجزاء وأن وراء ذلك من العلل والأسباب ما ينبغي الكشف عنه .

المبحث الثالث

البناء الكلّي والمنهج التعليليّ عند الخليل بن أحمد الفراهيديّ

كما هو واضح من النصوص السابقة فإن ما أورده الإمام جعفر بن محمد (عليه السلام) من جهات النظر في دراسة الظاهرة، وملاحظتها كان منحى جديداً من النظر والاعتبار، وفيه تلبية لدعوة القرآن الكريم لتدبر هذا الخلق وتدبر ظواهره ففيها الدلالة على وحدانيّة الخالق وعظمته. وما قدّمه الإمام في إملانه على تلميذه المفضل بن عمر هو منهج عمليّ للتدبر للانتقال من بديهة الملاحظة الى الكشف عن أسرار الانتظام في كل أطراف هذا الخلق وتحقيق ذلك بالكشف عن العلل والأسباب وراء ذلك.

وعلى ما يبدو فإن الوقوف على العلل والأسباب لم يكن قد سبق تناوله على هكذا نحوّ منهج، وهو توجه يؤسس لمعالم تفكير علميّ للإمام الصادق وبداه أبوه الإمام الباقر محمد بن عليّ (عليه السلام) وأتمّه هو، فقد شهدت الحركة العلميّة على يديه تطوراً ملحوظاً تمثل في سعيه نحو تأسيس طائفة من العلوم المختلفة الشرعية وغيرها كعلم الكيمياء والفيزياء وعلم المنطق والفلسفة الاسلاميّة والطب وإنشاء مدرسة جامعة تجاوز عدد طلابها أربعة آلاف طالب... ولذا فقد اتخذ الإمام (عليه السلام) هذا الموقف العلميّ لتدوين ما سيقدّمه لتلميذه الذي لاذ به ووجد عند إمامه ضالته، وموضع حاجته للرّد على الملاحدة،

والذهريين من أمثال ابن أبي العوجاء. ويظهر من هذا أن مسائل هذا الإملاء بمقدمته المنهجية المحكمة لم تكن ممّا عرفه المعاصرون فضلاً عن تقدّمهم، ولو كان ذلك لما خفي على الإمام أو على أصحابه. ثمّ هناك مواضع أخرى ذكر فيها الإمام طائفة ممّا أورده ههنا، ولكنه لم يكن يمثل هذا التدوين الجامع المتسلسل. وعلى ما يبدو فإن الإمام كان مجدداً في مستوى التّنظير العلميّ والتجريبيّ في هذا الباب، وأبواب علميّة أخرى. والمتنوع لحياة الإمام العلميّة يجده قد حرص على تنشئة علماء متخصصين في هذا المجال العلميّ أو ذاك. فهذا إبان بن تغلب كان عالماً بالقراءات والعربية وهشام بن الحكم في علم الكلام وزاردة بن أعين في الفقه ومؤمن الطاق في العقائد وغيرهم (٣٠). ويبدو لنا أن الخليل بن أحمد الفراهيديّ كان ذلك العالم البارِع المتخصص في علم النحو العربيّ فاستطاع بما أوّتي من فطنة أن يوظّف بعض رؤى الإمام جعفر الصادق ليمدّ النحو العربيّ بمنهجية جديدة، وليبدأ النحو على يديه مرحلة جديدة من النظر النحويّ العميق. وقد أتينا فيما سبق على ذكر جوانب تمثّل هيمنة واضحة للفكرة النسقيّة الافتراضيّة في كيفة النظر إلى كلام العرب وتحليله. وسننتيّن أثر ذلك في منهج النحو العربيّ بل في مجمل النظر اللغويّ مما ظهرت معالمه عند الخليل وسيبويه ليصبح علم النحو العربيّ علماً تفسيريّاً وتعليلياً يتجاوز ظواهر الكلم والجمل المكتوب منها والمنطوق الى أن يقمّ درساً لغويّاً ذا أبعاد فكريّة ومنهجية مختلفة تسبر غور الظاهرة الكلاميّة فتتخذ

لتوجههم نحو الإعراب بوصفه غاية عملهم من دون الولوج في أعماق الأنساق الكلامية وأنماطها للكشف عن آليات نشأة الجملة وترباط أجزائها - تعضد بروز حالة الاستغراب مما قام به الخليل وطريقته في فهم كلام العرب، فالكلام عنده بمثابة الدار القائمة على حسن الترتيب وأن حكمة قائمة من وراء تكوين أجزائها وانتظام مكونات هذه الدار مما يظهر للعيان،

فإذا دخل حكيم ذلك الدار طفق يكشف عن علل ذلك الترتيب، وتناسق أجزاء الدار، فالتشابه بين ما قاله الإمام الصادق (عليه السلام) وما ذكر عن الخليل من جهة اللفظ واحدة وهي الدار، وإن مهمة الداخل إلى هذا هي محاولة الكشف عما وراء هذا البناء الظاهر. وهذا الجدول يظهر ذلك بوضوح:

قول الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)	قول الخليل بن أحمد الفراهيدي
<p>إن الشكاك جهلوا الأسباب والمعاني في الخلقة وقصرت أفهامهم عن تأمل الصواب والحكمة فيما ذرأ الباري جلّ قدسه... فهم في ضلالهم وغيبهم وتجبرهم بمنزلة عميان دخلوا داراً قد بُنيت أثقن بناءً وأحسنه وفُرشت بأحسن القرش وأفخره... ووضع كل شيء من ذلك موضعه على صواب من التدبير وحكمة من التدبير، فجعلوا يترددون فيها يمينا وشمالا، ويطوفون بيوتها إدبارا وإقبالا محجوبة أبصارهم عنها.</p> <p>لا يُبصرون بنية الدار وما أعّد فيها، ورُبّما عثر بعضهم بالشئ الذي قد وُضع موضعه، وأعدّ للحاجة إليه، وهو جاهل للمعنى فيه، ولما أعّد، ولماذا جعل كذلك؛ فتذمّر وتسخط وذم الدار وبانيها، فهذه حال هذا الصنف في إنكارهم ما أنكروا من أمر الخلقة، وثبات الصنعة، فإتهم لما عزيت أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء، صاروا يجولون في هذا العالم حيارى فلا يفهمونما هو عليه من إتقان خلقته وحسن صنعته وصواب هيئته وربما وقف بعضهم على الشئ يجهل سببه والإربفيه فيسرع</p>	<p>فمَثَلِي في ذلك مَثَل رجلٍ حكيم دخل داراً محكمة البناء؛ عجيبة النظم والأقسام؛ وقد صحت عنده حكمة بانيتها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللانحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها، قال: إنما فعل هذا هكذا لعلّة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا. سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك. فجانز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلّة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجانز أن يكون فعله لغير تلك العلّة؛ إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علّة لذلك، فإنّ منح لغيري علّة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليات بها</p>

إلى ذمه ووصفه بالإحالة والخطأ كالذي أقدمت عليه المنانية الكفرة، وجاهرت به المُلحدة المارقة الفجرة، وأثباهم من أهل الضلال المغفلين أنفسهم بالمحال، فيحقق على من أنعم الله عليه بمعرفته وهذه لدينه، ووفقه لتأمل التدبير في صنعة الخلاق والوقوف على ما خلقوا له من لطيف التدبير، وصواب التقدير بالدلالة القائمة الذالة على صانعها أن يكثر حمد الله مولاه على ذلك.

ويتضح أن الدعوة إلى تبني الفكر البنائي في بناء المعرفة العلمية عند الخليل واضحة عبر هذا النص المهم، وذلك باعتبار الانتظام في المنجز وهو الكلام؛ وهو في المثال الدار المحكمة البناء، التي لا يمكن انكار انتظامها، فكذا رأى الخليل كلام العرب. وهو يمدنا بكثير من التصورات الملحقة بهذا التشبيه، فاللغة أو الكلام هي البناء الظاهر، وأن من وراء هذه البناء الظاهر بنية منتظمة يمكن تصوّرها. ((فالخليل ( رحمه الله ) ينحو في كلامه المتقدم إلى إظهار التعليل بوصفه وظيفة يمارسها النحوي لإدراكه مبدأ العلة والمعلول ؛ وإدراكه أيضاً أن اللغة نسق محكم البناء. وتكوّن هذا النسق خضع لحكمة، والبحث عن هذه الحكمة وظيفة النحوي، وبعدّ التعليل المظهر الأكثر بروزاً لهذه الوظيفة، وسيتمّ البحث عن الحكمة إلى الأجيال اللاحقة من النحويين فنراه يظهر عند ابن جني بوصفه هدفاً رئيساً من أهداف التعليل في البحث اللغوي بعمومه)) (٣٢).

وتبقى هذه الصورة البنائية في مستواها التجريدي

قائمة، وإن تغير البناء أو انحرف كما في التغيرات التي تطرأ على الجمل من نحو: التقديم والتأخير والحذف والزيادة والبناء للمفعول وغيرها ... ولعلنا من أبرز تطبيقات الخليل لهذا الصورة البنائية ، أن اصطلح على ركني الجملة بنوعيتها سواء التي ابتدأت بفعل، وكذا التي ابتدأت باسم بنمط جملي جامع هو (سند ومسند إليه ) ، فقد ذكر في كتابه العين قوله في السند: (( ما ارتفع من الأرض في قبل جبل أو وادٍ وكل شيء اسندت إليه شيئاً فهو مُسند. والكلام سند ومسند كقولك: عبدالله رجلٌ صالح، فعبد الله سَنَد، ورجل صالح مُسند إليه...)) (٣٣). فلفظة السند مرتبطة بالبناء لاقتنائها بمعنى الارتفاع والاعتماد (٣٤). وهو الأمر الذي أفاد منه سيبويه لتطوير توجهاته النحوية بإطلاق تسمية ( المسند ) بدل السند، فاستبطن داخل هذه الصياغة فاعل الكلام ومنشأه وهو المتكلم، ما قد يكشف عن وجه آخر من نظرة سيبويه لمرحلة التكوين العميقة التي تصاغ فيها البنية التركيبية في العربية، وإعطاء المتكلم

قدرته على إحداث الإنتاج اللغوي وصياغة كلامه بين مستويي الافتراض والأداء.

ولم يقتصر توظيف صورة النسق (الدار) لدراسة كلام العرب التي أرساها الإمام منهجاً علمياً وظفها الخليل توظيفاً فاعلاً في مجال النحو العربي اتخذت أبعاداً أكثر سعة وظهوراً في كتاب سيبويه، فترى سيبويه في كثير من مجربات الكتاب وتراتب أبوابه وتحليل موضوعاته قد ارتكز على هذه الفكرة. وأبرز ما نأتي على ذكره هنا أن ألفاظ البناء قد كوّنت المنظومة الاصطلاحية المهمة في الكتاب، ولقد استعمل سيبويه في ظل تأثر واضح بأستاذه الخليل ألفاظ البناء و الانشاء ما يزيد عن استعمال أي لفظة أخرى؛ فلفظة بنى وأخواتها في الكتاب استعملت في (٩٨٩) مورداً (٣٥). وهذه الكثرة تشير إلى المدى الذي بلغته الفكرة البنائية في نحو الكتاب خاصة والنحو العربي بعده عامة، ما يدين بالفضل للإمام الصادق (عليه السلام)، ولتلميذه الخليل (رحمه الله).

ثم إن هذا الأمر تجاوز إلى خصيص المنهج النحوي في النظر إلى الظاهرة الكلامية بالبعدين أو المستويين الذين ظهرا في كلام الصادق (عليه السلام) الافتراضي والتعليقي فقد نحا سيبويه إلى توظيف هذين البعدين في مصطلح عليه بالمستوى القبلي تحليل الكلام وهو واحد من مجالات التحليل المهمة التي ظهرت في الكتاب بمسارات متعددة يمكن إجمالها في ثلاثة مسارات أساسية هي نظرية الأصول اللغوية والنحوية ومفهوم (تمثيل) ولم يتكلم

به)، والجملة الأصل في العربية.

والمستوى الظاهر: مستوى التعامل مع المنطوق المؤدى من كلام العرب بتصنيف ألفاظه وتراكيبه. فالأصول التي ظهرت عند سيبويه في إطار نظرية الأصول النحوية عنده (٣٦)، وهي التي تمثل المستوى القبلي المتحكم بطبيعة تكوين المستوى الظاهر وطبيعة التحولات التي تطرأ على الكلام، تنحو إلى القول بأنه تم النظر إلى:

١. النظام النحوي يقوم على أسس عقلية، قائمة في عقول متكلمي تلك اللغة. ويمكن أن تكون تلك الأسس هي مجموعة الأصول التي ظهرت عند سيبويه.
٢. الكلام بوصفه بناءً (نسقاً) منظماً. ويتخذ هذا النسق بعدين: أفقي وعمودي.
٣. تتخذ الجملة التكوين العمودي لوحدها فمكونات الجملة ترتفع الواحدة فوق الأخرى. وبهذا الصدد نجد تعبير سيبويه عن منزلتي الفاعل والخبر بالمبني عليه، والمسند إليه.
٤. تمثل كل لبنة في هذا البناء لفظة مرتبطة بلفظة أخرى في الأقل. وتتابع اللبنة بمثل سلسلة الكلام.
٥. تتخذ اللبنة الأولى في هذا البناء موقع الأساس الذي ترتفع عليه بقية لبنات البناء، وبذا فكل لبنة فيه هي متعلقة في الأصل بذلك الموقع.
٦. ويتضح أن هذا النظر النحوي لم يتأسس أولاً على مفاهيم مجردة أو تصورات غير كلامية



بل الكلام (الأداء) هو الذي يُعتمد للكشف عن النظام اللغوي وقواعده؛ لأنّ الدار واقع يتأمله الحكيم، وهي توظيف للصورة التي عرضها الإمام في قوله ((فهم في ضلالهم وغيبهم وتجبرهم بمنزلة عميان دخلوا داراً قد بُنيَتْ اتقن بناءً وأحسّنه وفُرشت بأحسن الفرش وأفخره ..)) وكذا الخليل: ((فمُتلي في ذلك مثل رجلٍ حكيم دخل داراً محكمة البناء؛ عجيبة النظم والأقسام؛ وقد صحت عنده حكمةً باتيها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللانحة)) فكان لابدّ من الدخول الى هذا الموجود لتأمل اتساقه ونظمه الذال على الحكمة. وهو من بعد ليس بعيداً عما ألفه الناس في حياتهم، وعلى هذا فالنظرية النحويّة العربيّة التي يمثّلها كتاب سيبويه انطلقت من بينتها، ومثلتها في كثير من مجرياتها ولم تنزع بعيداً عنها على ما يحلو لجماعة من الدارسين الادعاء أنها أسست بتأثيرات خارجيّة يونانيّة مرة وأخرى سريانيّة وأخرى هندیّة، أو غير ذلك؛ ولا سيّما عندما يضعون أمامهم مسألة القول بالعامل النحويّ، على الرغم من أنّ منطلق القول بها متسق مع فكرة الدار فالعامل هو البناء إذا بنى استعمل اللين على ما ذكر الخليل في معجمه (٣٧). وعلى هذا فقد عمل الخليل وسيبويه على توظيف التصور البنائي للدار ليرسما الهيكل الضامّ المعبر عن اللغة. وما قدمه سيبويه في هذا الجانب يمكن أن يفسّر في ضوء النص الخليلي، والإمامي على نحو أشمل كلام العرب (٣٨).

#### خاتمة البحث:

أجمل نتائج البحث في نتيجة عامّة، تكمن أنّ للإمام الصادق (عليه السلام) في مقدمته المنهجية التي صدر بها إملاءه على تلميذه المفضل بن عمر الجعفي وهو الإملاء المعروف بتوحيد المفضل كان قد وضع أساساً مهماً في الانتقال الى مرحلة تأسيس العلوم على قواعد منهجية محكمة، وقد وجدنا في هذه المدونة ما يدعو إلى القول بأنّ كلام الإمام هاهنا كان ملهماً للخليل بن أحمد الفراهيدي ومن بعده تلميذه البارعي سيبويه في تطوير الدرس النحويّ باتجاه مرحلة علميّة رائدة، ورائد ذلك دليل مكتوب ومشهور يورد عن الخليل عندما سئل عن علله التي يعتل بها في النحو فذكر رؤيته لما ينبغي أن يكون عليه النحويّ، وهي رؤية استقاها من الإمام الصادق فكانت فكرة الدار معبرة عن الانتظام التي ملهمة لوضع تصورات افتراضيّة في إطار تعليليّ لتوجيه الانتظام الذي يلمح في أنظمة اللغة. فقد كان من جملة الهموم التي عاشها الإمام أن يأخذ على عاتقه وضع أصول علمية للنظر والتفتيش في كل ما تشتمل عليه الحياة؛ لما في هذا من بيان مظاهر عظمة الخالق جلّ وعلا وتوحيده. وقد بثّ الإمام هذه الأصول في طائفة من محاضراته وإملاءاته ولا سيّما ما أملاه على المفضل بن عمر الجعفيّ فيما عرف بكتاب توحيد المفضل. وقد أظهر البحث المشابه الواضحة بين نصّ الإمام الوارد في مقدمة الكتاب المذكور وما نقله الزجاجي في بيان وجه العلل النحويّة التي كان الخليل يقول بها، ما يظهر أنّ الخليل قد أتبع الإمام في دعوته في

النظر الى الأشياء بالكشف عن عللها، فلا يكتفى منها  
بظواهرها. ولذا وجدنا أن المسارين اللذين اقترحهما  
الإمام لفهم الأشياء وأعني بهما المسار التجريدي  
الافتراضي، والمسار التعليلي الذي يؤسس للكشف  
عن الأسباب الخافية وراء تشكل الظاهرة على هيأتها  
الملاحظة.



## الهوامش

- ١- التَّغْلِيلُ فِي الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ (نظرة في أصول اللغة) بالاشتراك، مجلة جامعة كربلاء، المجلد ٧ و ٨، ٢٠٠٩: ص ٢٤.
- ٢- لقد استعمل سيبويه هذا اللفظ ومشتقاته عند توجيهه للتركيبات النحوية (١٥٠) مرة، وهو عدد يمثل مدى أهمية هذا المصطلح في النظرية النحوية العربية. ينظر مفهوم الجملة عند سيبويه: ٣٥ (هامش ٢)؛ وينظر: التَّغْلِيلُ فِي الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ (نظرة في أصول اللغة) د. حسن عبد الغني الأسدي، وم.م. سناء علي حسين/ مجلة جامعة كربلاء/ المجلد ٧ و ٨ / ٢٠٠٩.
- ٣- طبقات فحول الشعراء: ١٤/١.
- ٤- ينظر: في أصول اللغة والنحو: ١٣١.
- ٥- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة: ٧٧. وهو قول أبي الطيب الزبيدي.
- ٦- الكتاب: ٨٠/٢-٨١.
- ٧- ينظر مفهوم الجملة عند سيبويه: ١٩٦ وما بعدها.
- ٨- الكتاب: ١٢٤/٢.
- ٩- مفهوم الجملة عند سيبويه: ١٩٨.
- ١٠- لعلنا يمكن أن نفترض عبر سيبويه أن النحو الذي كان مهيمنا في تلك الحقبة هو النحو الشكلي، الذي همه

معرفة الإعراب ؛ وعلى ما يبدو فإنه مثل امتداداً تاريخياً لمعالم المرحلة الأولى لنشأة النحو العربي التي أقام درسها الأول أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) عندما ابتكر نقط الإعراب لمعالجة ما قد يقع فيه الناس من خطأ عند قراءتهم القرآن الكريم، من غير التفات لأصحاب هذا النحو أن ينظروا إليه بوصفه علماً مقنناً لدراسة الكلام ابتدأت أولى خطواته العلمية بصحيفة الإمام علي (عليه السلام) التي أعطاها أبا الأسود وبها رسمت أولى خطوات هذا العلم ومنه عرف اصطلاحه (النحو). للتفصيل ينظر: الإمام علي (عليه السلام) الواضع الأول للنحو العربي، د. فاء عباس فياض، بحث مقبول للنشر بمجلة الباحث، تصدرها كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء.

١١- وعلى ما يبدو فإن ما ذكرناه ونذكره عن فرادة نحو سيبويه وأستاذه الخليل تسقط ما بيد من جهد جهده للثوهم من سيبويه وخطوته الرائدة في التدوين النحوي وبراعة أستاذه، فيحيل إلى ما بعض المجهولات مما نسبته إلى عيسى بن عمر من أنه ألف كتابين هما : الإكمال والجامع، اللذين صاغهما سيبويه في كتابه وأدعى علمهما. وتلك على ما نظن آفة الحسد لهذين العلمين تنسل من بين المجهولات لتصنع لها على السنة مساندة بعض وجود، لا يلبث ناقلوه إلا أن يعترفوا بأعلمية هذين العلمين وتقدمهما.

١٢- أثر القراءة الافتراضية في التخريجات النحوية (دراسة في التراث): ٤٦.

١٣- اشكاليات القراءة وآليات التأويل: ٥.

١٤- المفصل في تاريخ النحو قبل سيبويه: ٢٩٨/١، الأعلام للزركلي (١٢٦/٢) في ترجمة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام).

١٥- مفهوم الجملة عند سيبويه: ٣٦ ونص سيبويه في الكتاب: ٢٦٥-٢٦٦.

١٦- ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه: ٣٦ وما بعدها.

١٧- كتاب سيبويه: ٣٥٣/١.

١٨- ينظر : الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ١٩٢.

١٩- أبو عبدالله أو أبو محمد المفضل بن عمر الجعفي الكوفي، ولد في الكوفة في نهاية القرن الأول أيام محمد الباقر (عليه السلام) (ت ١١٤هـ) والد الإمام جعفر الصادق عليه السلام؛ وتوفي في أواخر القرن الثاني في أيام الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) (ت ٢٠٣هـ) عن عمر يناهز الثمانين سنة. ومنزلته وفضله واضح وقد جمع إلى العلم الجم والفضل الغزير والصلاح والورع شرف الوكالة عن الإمامين الصادق وابنه موسى الكاظم (عليهما السلام). ينظر: من أمالي الإمام الصادق (عليه السلام): ١٥، مقدمة المحقق.

٢٠- للتفصيل ينظر: الفكر الصوتي عند الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) (٨٣هـ-١٤٨هـ) / أ.م.د. حسن عيد الغني الأسدي، مجلة الباحث، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ع ٦-٢٠١٣، ص ٢٦٥-٢٨٥. ومن

ذلك أن تم لي بكلية التربية للعلم الانسانية بجامعة كربلاء اقتراح رسالة ماجستير بعنوان: (التفكير اللساني عند الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام) وقد توليت الإشراف على إنجازها، وهي تتكفل بملاحقة ما يدخل في خانة التوجهات اللغوية للإمام عليه السلام (وهي قيد الإنجاز).

٢١- الفكر الصوتي عند الإمام جعفر بن محمد الصادق: ٢٨٢.

٢٢- توحيد المفضل: ٤٢.

٢٣- توحيد المفضل: ٣٨.

٢٤- توحيد المفضل: ٤٥.

٢٥- توحيد المفضل: ٤٥.

٢٦- توحيد المفضل: ٤٤-٤٧.

٢٧- توحيد المفضل: ٤٧.

٢٨- توحيد المفضل: ٤٧.

٢٩- توحيد المفضل: ٧٦-٧٧.

٣٠- توحيد المفضل: ٨٥.

٣١- للتفصيل في هذا الأمر ينظر كتاباً: تأسيس الشيعة للعلوم والشيعة وفنون الاسلام.

٣٢- الإيضاح في علل النحو: ٦٥-٦٦.

٣٣- تكوين الجملة وامتدادها عند سيبويه: ٨٤.

٣٤- لعين: ٢٢٨/٧-٢٢٩؛ وذكره: تاج العروس: ٣٨٤/٢ (سند). جدير بالذكر أن النص الخليلي على الرغم من أهميته لم يلتفت إليه منظرو الجملة العربية قديماً ومحدثين، وكنت قد أثبت على ذكره في أطروحة الدكتوراه (مفهوم الجملة عند سيبويه، المنجزة في ١٩٩٩) وهو نص مهم، ويعدّ الإشارة الأولى للإدراك الكلي في فهم الجملة؛ وقد أظهر لنا تطوراً في مسار فهم العلاقات الأساسية في الجملة العربية ولا سيما في مرحلة التكوين بين الخليل وتلميذه سيبويه.

٣٥- ينظر مفهوم الجملة عند سيبويه: ١٤٣.

٣٦- ينظر المفهوم التكويني للعامل النحوي عند سيبويه: ١٠، الهامش (٤٤).

٣٧- للتفصيل: ينظر مفهوم الجملة عند سيبويه: ٢٢٣-٢٤٨.

٣٨- ينظر: العين: ١٥٤/٢، وللتفصيل في هذه المسألة يراجع بحث: المفهوم التكويني لنظرية العامل النحوي عند سيبويه، تحليل وتوجيه، وهو بحث استطاع أن يعيد النظر في مفهوم العامل النحوي عند سيبويه بما يمثل مقاصد سيبويه في كون العمل هو القدرة على فتح المجال النحوية، التي يمكن وصفها بنظرية نحوية لتفسير



كيفية نشوء الجملة عبر ركنيها الأساسيين المسند والمُسند إليه وإشغالها بالكلمات التي تتناسب والكلمة الأولى ( المسند ) وهي العامل وبيان كيفية امتداد وظائف الجملة وتربطها ،مع بيان نظرته عن وجود الكلم المولدة في نوعي الجملة في العربية وأثرها في تكوين الجمل عبر القدرة على خلق مجالات نحوية تشغلها الأسماء للقيام بالوظائف النحوية المطلوبة لإتمام متطلبات المسند ومراد المتكلم. وللتفصيل في هذا المجال ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه: ١٥٤-١٨٧، (الفصل الثالث، المبحث الثاني م التكوين الخطي للجملة عند سيبويه).



### المصادر والمراجع

- ١- أثر القراءة الافتراضية في التخرجات النحوية (دراسة في التراث)، عرابي أحمد، مجلة جذور ج ٣٠، مج ١٢، ٢٠١٠م
- ٢- اشكاليات القراءة وآليات التأويل، د. نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط ١٩٩٦، ٤.
- ٣- الإمام علي (عليه السلام) الواضع الأول للنحو العربي، د. وفاء عباس فياض، بحث مقبول للنشر بمجلة الباحث، تصدرها كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء.
- ٤- الايضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي (٣٣٧هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار النفائس، مؤسسة مطابع معنوق، بيروت، ط ١٣٩٣، ٢٠١٣هـ-١٩٧٣م.
- ٥- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، مركز الكتب الثقافية، المطبعة الخيرية المنشأة بمصر، ط ١٣٠٦هـ.
- ٦- التعليل في الدرس النحوي (نظرة في أصول اللغة)، د. حسن عبد الغني الأسدي و م. م. سناء علي حسين الحمداني، مجلة جامعة كربلاء، المجلد ٧ و ٨، ٢٠٠٩.
- ٧- توحيد المفضل، إملاء الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) على المفضل بن عمر الجعفي، علق عليه كاظم المظفر، مطبعة الداوري، الطبعة الثالثة، قم إيران. (النسخة المعتمدة في البحث)
- ٨- الجمل في النحو، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، المحقق: د. فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

- ٩- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (١٣٩هـ-٢٣١هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر، الناشر: دار المدني - المؤسسة السعودية بمصر.
- ١٠- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٥هـ)، تح: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دائرة الشؤون الثقافية العامة، دار الحرية للطباعة، بغداد.
- ١١- الفكر الصوتي عند الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام ٨٣هـ-١٤٨هـ)، أ.م.د. حسن عبدالغني الأسدي، مجلة الباحث، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ع ٦-٢٠١٣.
- ١٢- كتاب سيبويه، سيبويه، تحقيق: عبد السلام

- هارون، عالم الكتب، بيروت.
- ١٣- المفهوم التكويني لنظرية العامل النحوي عند سيبويه، تحليل وتوجيه، د. غالب فاضل المطلبي و د. حسن عبدالغني الأسدي، مجلة المورد العراقية، ع ٣، ١٩٩٩م.
- ١٤- مفهوم الجملة عند سيبويه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧.
- ١٥- من أمالي الإمام الصادق (وهو شرح ما أملاه الإمام على تلميذه المفضل بن عمر الجعفي، محمد الخلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

